كانت جارية دفعت به في الطريق التي سار فيها، وبفضل ذلك ادرك هـــو ـ مـــن اول الامر ـ الفرص السلمية ذات الطابع المتناقض ، وسعي لتحقيق السلام دون ان ينحنـــي لمام الروس · فلا هو تخلى عن اسرائيل ، ولا هو جافى العرب مجافاة قاطعـة · وقضى كيسنجر عشرة ايام كان في اثنائها في غاية القلق ، ولكنه في اليوم الحادي عشر تمكـن من ان يخطف الزمام ، ويسيطر على مجرى الحوادث (٧) ·

وقد عبر الصحفي الاميركي شيهان عن التأثير الذي مارسه كيسنجر ـ وهو يصف اول اجتماع بين السادات والدبلوماسي الاميركي الاول يوم ٧ تشرين الثاني (نوفمبـــر) ١٩٧٣ ـ حيث قال « ان المثل العربي يقول : عدو عدوي صديقي ، ولكن كيسنجر استطاع في اجتماع واحد وبمفرده جعل السادات يضع هذا المثل في صيغة محررة جديدة هـــي : صديق عدوي صديقي ايضا » (٨) ·

فهل يعني هذا ان خلق علاقات جديدة بين الولايات المتحدة ومصر هو الذي حدد وحده نتائج الحرب السياسية بقدر ما حدد نتائجها العسكرية ؟ ·

ان الاجابة على هذا السؤال بالايجاب لا تكون صحيحة الا بالقدر الذي نفهم به العلاقة الاميركية ـ المصرية باعتبارها فرعا على العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية · بمعنى ان استراتيجية الدبلوماسية الاميركية في الشرق الاوسط خلال الفترة منذ بداية حرب اكتوبر ١٩٧٣ الى الوقت الحاضر كانت برمتها مبنية على اعادة تكييف العلاقات الاميركيـــة ـ الاسرائيلية مع المتغيرات التي فرضت شن حرب اكتوبر ، والتي فرضت على الولايـــات المتحدة التدخل للتأثير في نتائجها العسكرية ، وبالتالي السياسية ·

وعلى هذا الاساس فاننا نذهب ـ من هذا الافتراض الاساسي ـ الى ان دراسة الاثار السياسية لحرب اكتوبر تقتضي في الاساس تتبع متغيـــرات العلاقـــات الاميركيـــة ـ الاسرائيلية ، وهي في النهاية متغيرات تناولت الجانب الكمي لا النوعي من هذه العلاقات، بمعنى انها لم تؤثر في « طبيعة » العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيـــل · والمقصود باسرائيل هنا ليس مجرد مفهوم الدولة ، التي لا تختلف ككيان سياسي عـن اي دولة اخرى ترتبط بعلاقات ثنائية ومتعددة الاطراف مع الدول « الوطنية » الاخرى ·· اما المقصود ايضا ـ واكثر ـ اسرائيل بصفتها« الدولة اليهودية » وبصفتهـــا المؤسســـة المجسدة للفكرة الصهيونية ، واسرائيل بصفتها قاعدة حماية المصالح الاستراتيجيـــة والاقتصادية الاميركية في الشرق الاوسط ·

ولعله من اليسير ان نلاحظ ان مجريات الاحداث التي تلت توقف حرب اكتوبر ـ بمـــا فيها الاتفاقيات والمبادرات والمؤتمرات التي عقدت ـ تكشف اقتناعا لدى الطـرف العربي المتحرك في تلك الاحداث (النظام المصري) بأن العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية هـــي مفتاح التغيير والتطور نحو حل « مناسب » للصراع العربي ـ الاسرائيلي او على الاقـل لمشكلة الارض المحتلة عام ١٩٦٧ · وذلك من خلال اقتناع ذلك الطرف بمبدأين اساسيين :

ـ ان الولايات المتحدة تملك مفاتيح السلام في المنطقة ، وان كان الاتحاد السنوفياتي يملك مفتاح الحرب · (وهو معنى عبارة قالها كيسنجر لرئيس النظام المصري السـادات في أول لقاء تم بينهما ، وهو ايضا معنى عبارة السادات الشهيرة القائلة بأن الولايـات المتحدة تملك ٩٩ بالمائة من اوراق الحل في الشرق الاوسط) · وهذا المبدأ يبرر به هـــذا الطرف العربي وضع اوراقه كلها بين يدي الولايات المتحدة وحدها ·

ـ ان الولايات المتحدة انتقلت الى حالة اقتناع بأن مصالحها في الشرق الاوسط تربطها